بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ خيرَ بقاع الأرض وأحبَّها إلى الله ﷻ المساجد؛ فهي مجامِع الخير، وأماكن الطَّاعة، ومَوئِل الإيمان، ومهوَى الأفئدة، أذنَ الله لعباده برفعها ليُذكر فيها اسمُه سبحانه، ولتُقام فيها الصَّلاة، ولتكونَ منطلَقًا للعلم، ومرتكزًا لإشعاعه ونوره، ومنبرًا للهدى والخير، يؤُمُّها المؤمنون، ويجتمعُ فيها المتَّقون، ويتذاكر فيها المتذاكِرُون، ويكون فيها المسبِّح، والذَّاكر، والدَّاعي، والتَّالي لكتاب الله، والرَّاكع والسَّاجد، والجميع خائفٌ من يومٍ تتقلَّب فيه القلوب والأبصار.

وفي المسجد تطمئنُّ القلوب، وتسكُن النُّفوس، ويَذهب العَناء وتتحقَّق الرَّاحة، وتعظُم صِلة العبد بربِّه؛ فما أعظمَ أثرها، وما أجلَّ نفعَها وفائدتَها، فهي قرَّة عيون المؤمنين، وأنس قلوب المتَّقين، وبهجة نفُوس المسلمين.

وَرَد في فضلِها، وفضل بنائها، والعناية بها نصوصٌ متكاثِرةٌ في القرآن والسُّنة، وهي تدلُّ دلالةً ظاهرةً على عظم مكانتها، وجلالة قدرها، وأهمِّيَّة العناية بها بناءً ونظافةً وعمارةً لها بطاعة الله ﷻ، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ التَّوبَةِ].

وللمسجد حرمتُه ومكانتُه في قلوب المؤمنين؛ يعرِفون له قدرَه، ويهتمُّون بشأنه بحسب قوَّة إيمانهم بالله واليوم الآخر، وعمارةُ المسجد تشمَل البناءَ، والتَّنظيفَ، والصَّلاة، وذكرَ الله، وغير

ذلك.

ولكن ثمَّة ألمٌ في قلوب كثيرٍ من المسلمين بسبب أمرٍ يتكرَّر في زماننا في المساجد؛ بيوتِ الله ـ تبارك وتعالى ـ، فيه أذًى عظيمٌ للمسلمين في صلاتهم وعبادتهم، وإذهابٌ لخشوعهم وإقبالهم على ربِّهم ـ تبارك وتعالى ـ من أناسٍ ربَّما بلغَ الأمرُ بهم مبلغَ اللَّامبالاة، وعدم الاكتِراث؛ مع أنَّ الأمر ـ إي والله ـ جدُّ خطيرٍ.

إنَّه أصواتُ الموسيقى الَّتي أصبح سماعُها في المساجد متكرِّرًا؛ بل لا تكاد تخلو صلاةٌ أو ركوعٌ أو سجودٌ من سماع هذه الموسيقى، ولو قُلتَ قبل عشرين سنةً، أو ثلاثين سنةً لشخصٍ: هل تتصوَّر أنَّه يومًا من الأيَّام تُسمَع الموسيقى داخل المساجد؟ لقال لك: هذا ضربٌ من الخَيال، ولا يمكن أبدًا، ومَن يصدِّق أنَّ ذلكَ يحصُل في المساجد؟!

أبَلَغَ الحال بنا ـ أمَّةَ الإسلام ـ أن تُضرب هذه الموسيقى المُنكَرة السَّيِّئة في بيوت الله؟! أين حُرمة المساجد؟! أين مكانتها في قلوبنا؟! أين مراعاتنا لحقوق إخواننا المصلِّين؟! أين تقوانا لله ﷻ؟! أين تعظيمنا لشعائر الله ـ جلَّ وعلا ـ إذا كانت حالُنا بهذه الصِّفة في أمر متكرِّر؟! مع أنَّ كلَّ مَن يحمل هاتفَ الجوَّال يستطيع كلَّ مرَّةٍ يدخل فيها المساجد أن يغلق جوَّاله، أو أن يجعله على الوضع الصَّامت؛ لكِنَّ كثيرًا من النَّاس أصبح لا يبالي، ولا يكتَرِثُ بهذا الأمر، وأصبح المصلُّون ـ وبشكلٍ مستَمِرٍّ ـ يسمَعون الموسيقى وهُم سجودٌ، وهم رُكَّعٌ، وهم في دعائهم، وهم في تسبيحهم، بينما المسبِّح والذَّاكر لله ـ تبارك وتعالى ـ وإذا بهذا الصَّوت الصَّاخب العالي يضرب هنا وهناك داخل المساجد!!

يا حاملَ الجوَّال المساجد لها حُرمة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ]، والمصلُّون لهم احترامٌ ولهم حقٌّ؛ وإذا كان لا يجوز داخل المسجد أن ترفع صوتَك بالقرآن على أخيك، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ؛ فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي القِرَاءَةِ** ـ أَوْ قَالَ ـ: **فِي الصَّلَاةِ**» رواه أحمد وأبو داود[1]؛ فكيف إذًا بهذه الأصوات السَّيِّئة المنكَرة؟!

إنَّ الأمر مؤسِفٌ للغاية، ويدلُّ على ضعف الإيمان، ونقص الدِّين، وضعف الاحترام لبيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ ومراعاة الحُرمة لها، والواجب على هذا الَّذي أكرمه الله ـ جلَّ وعلا ـ بهاتف الجوَّال أن يجعل مِن شُكر الله ـ تبارك وتعالى ـ له على هذه النِّعمة ـ الَّتي سهَّل الله له بها الاتِّصال على أهلِه وقرابته وأبنائه، وقضاءِ مصالحه وحاجاته ـ أن يستعملها في طاعة الله، ومَن استعمالها في طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ أن لا تحتوي على منكرٍ؛ والموسيقَى في الجوَّالات محرَّمةٌ في كلِّ حالٍ، بل ينبغي عليه أن يختار لجوَّالِه أصواتًا ليست بأصوات الموسيقى، ويزداد الأمرُ خطورةً عندما يكون هذا الصَّوت المنكر داخل بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، فبيوتُ الله ـ تبارك وتعالى ـ محترمةٌ ولها حرمتُها، وإذا كان ذاك الَّذي أخذ يسأل عن حاجته في المسجد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**قُولُوا: لَا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ**»[2]؛

(١) رواه أحمد (١١٨٩٦)، وأبو داود (١٣٣٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٣٩).

(٢) رواه التِّرمذي (١٣٢١)، وابن ماجه (٧٦٧)، والنَّسائي في «الكبرى» (٩٩٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال التِّرمذي: حسن غريب؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٣).

فكيف الأمر بهذا المنكَر العظيم الشَّنيع؟! حتَّى لو كان بأدعيةٍ، فالأدعية تشغل المصلِّين، وتجدُك وأنتَ تُريد أن تقرأَ اختلفَت عليكَ قراءتُك، أو تريد أن تدعُو اختَلف عليكَ دعاؤُك؛ فينبغي أن تُحترم بيوت الله، وأن يُراعى للمصلِّين حرمتهم، وعلى حامل الجوَّال أن يذكر نعمةَ الله عليه؛ ولا يجعله آلةً يؤذي بها إخوانه المصلِّين.

فلنَتَّق اللهَ، ولنحذَر من موجِبات سخط الله وعقابه، والواجب على كلِّ واحدٍ منَّا أن يتَّقي الله ـ جلَّ وعلا ـ في هذه المساجد، وبمجرَّد أن يدخل مع باب المسجد يقول: «**باسم الله، والصَّلاة والسَّلام على رسُولِ الله، أعوذُ بالله العَظِيم وبوجْهِه الكَرِيم وبسُلْطَانِه القَدِيم مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم**»، ويُصمِتُ جوَّالَه ويدخل بيتَ الله محترمًا له، ولا يجعل لهذه الأصوات المنكرة أيَّ وجودٍ في بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، ومن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه؛ فاتَّق الله في نفسِك، وفي إخوانك المصلِّين، ولن يفوتَك بهذا العمل بإذن الله أيُّ مصلحةٍ من مصالحك ما دُمتَ قُمتَ به طاعةً لله، ومراعاةً لحُرمة المسجد، وحفظًا لحقوق إخوانك المصلِّين.

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يصلح أحوالَنا أجمعين، وأن يوفِّقنا جميعًا لاحترام بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن يجعلنا ممَّن يعظِّم شعائرَ الله، وأن يعيذنا جميعًا من استعمال هذه الأجهزة في أيِّ أمرٍ أو مجالٍ يسخط الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، إنَّه ـ تبارك وتعالى ـ سميع الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللَّهمَّ اغفِر لمصنِّفِها ولكاتِبِها ولقَارِئها وجميع المسلمِين

والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ، ووفِّقنا أجمعين لتعظيم الصَّلاة والمحافظة عليها وحسن إقامتها، والحمدُ لله الَّذي بنعمتِه تتمُّ الصَّالحاتِ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا أبدًا إلى يوم الدِّين.

صدر للشيخ أيضا :

سلسلة مطويات الفضيلة 25

ألم في القلوب.. الموسيقى في بيت الله

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع